الفصل السابع

أمالي أبي علي القالي

obeikandl.com

obeikandl.com

التعريف بالمصنف:

إن صاحب كتاب الأمالي – الذي نحن بصدده – هو أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي (288- 356)[1] ولم يكن ممن تمنيهم أنفسهم بالجاه والسلطان ولم يكن يجد في صدره هوى إلى ألقاب السياسة أو مكاسب الثروة والغنى[2] وإنما كان يشغل أبا علي تحصيل العلم والسعي إليه أينما وجد؛ فارتحل يتلمس العلم تاركا منشأه الأول في مدينة منازجرد[3] حيث استقرت أسرته، بل تاركا وطنه الأكبر أرمينيا في ركب أهل قلقيليا[4].

وقد ارتحل أبو علي إلى مدينة الموصل[5] وأقام بقربها ما يزيد على السنة وما يقرب من السنتين (303- 305هـ) وقد التقى هناك بأول مشايخه أبي يعلي الموصلي (210- 307هـ)[6] ثم غادر الموصل إلى بغداد قبلة العلم آنذاك ومقصد العلماء وقضى فيها ثلاثة وعشرين عاما (305- 328هـ) عاكفا على الدرس والتحصيل إلى أن تكونت شخصيته العلمية على يد كبار علمائها ثم رحل إلى قرطبة بالأندلس سنة (328هـ) **وقد اختلفت الآراء حول أسباب هذه النقلة على النحو الآتي:**

1- قيل إنه يأس من تلمس طريق المجد والشهرة في العراق حيث عمالقة العلم وشيوخ الرواية[7].

2- قيل إن الناصر أو ابنه الحكم هو الذي حثه على الرحلة واستدعاه إلى الأندلس[8].

3- وقيل ثالثا إن القالي ارتحل إلى الأندلس ليصيب شيئا من كسب المال والشهرة[9].

وأيا ما كان الأمر وكانت الأسباب والدوافع فإن عالمنا الجليل وصل بعد رحلة إلى الأندلس لثلاث بقين من شعبان سنة (330هـ) في خلافة عبد الرحمن الناصر، واستقبل استقبالا حافلا[10] ومنذ وطئت قدم القالي الأندلس وهو يقوم بالتدريس والإملاء حتى توفي سنة (356هـ).

مصنفاتـــــه:

ترك أبو علي القالي للبشرية تراثا تأليفيا غزيرا ولكن من المؤسف أن كثيرا منه نجد له ذكرا في المصادر الأخرى لكنه لم يصل إلينا وبعض هذه المصنفات قد وصلنا بالفعل لنفيد منه، ونحاول فيما يأتي ذكر بعض المصنفات التي وصلتنا والتي لم تصلنا لعلها تأتينا يوما والجدير بالذكر أن د.محمد مصطفى أبو شوارب قد تتبع أسماء المصنفات التي لم تصلنا من خلال المصادر التي ذكرتها إضافة إلى المصنفات التي بين أيدينا[11].

أولا: المصادر المفقودة:

1- كتاب الإبل ونتاجها وجميع أحوالها.

2- كتاب تفسير المعلقات وإعرابها.

3- كتاب حلي الإنسان والخيل وشياتها.

4- كتاب فعلت وأفعلت.

5- فهرست أبي علي وأخباره وتسمية كتبه وتواليفه.

6- لغة مجموعة.

7- كتاب مقاتل الفرسان.

ثانيا: المصنفات الباقية:

1- كتاب الآمالي الذي نشغل بدرسه.

2- المقصور والممدود.

3- كتاب أفعل من كذا (في الأمثال).

4- البارع في اللغة وقد مات القالي قبل أن يتم تأليفه.

كتاب الأمالي:

يعد كتاب الأمالي من أهم آثار القالي العلمية وأكثرها رواجا وأبعدها أثرا في القيم والحديث، بل هو من أهم كتب الأمالي مطلقا ويذكر أن أبا علي أملى الكتاب "في الأخمسة بالزهراء على بني الملوك وغيرهم من أهل قرطبة ثم زاد فيه فبلغه ستة عشر جزءا للعامة ثم زاد فيه فبلغه عشرين جزءا لأمير المؤمنين"[12] ولقد طبع الكتاب لأول مرة سنة (1324هـ - 1906م) بمطبعة بولاق ثم أعيد طبعه سنة (1344هـ - 1926م) بدار الكتب المصرية وعن هاتين الطبعتين وخاصة الثانية أخذت باقي الطبعات المتداولة.

وتحتوي طبعة دار الكتب قسمين منفصلين:

القسم الأول: ويحتوي كتاب الأمالي في جزئين.

القسم الثاني: ويحتوي ذيل الأمالي ثم النوادر ثم كتاب التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه للبكري.

وكتاب الأمالي في جملته كتاب أندلسي الوضع ألف بعد الفراغ من المقصور والممدود وربما بدأ إملاؤه في أثناء تأليفه في حياة الناصر وقبل أن يتولى حكم الخلافة أي ما بين سنتي ثلاثمائة وثلاثين (330هـ) وهي سنة دخوله قرطبة وسنة ثلاثمائة وخمسين (350هـ) وهي سنة وفاة الناصر الذي رفع إليه الكتاب[13].

رواة الكتاب من تلاميذه:

لا شك في أن الكتاب قد لاقى من الذيوع والرواج والاهتمام الشيء الكثير وأنه قد استطاع أن يؤثر لذلك تأثيرا واسعا في الدراسات اللغوية والأدبية بالأندلس، بدأ هذا التأثير مع جماعة من تلاميذ القالي الذين اعتنوا برواية الكتاب وقراءته وحفظه وعنهم تمت رواية الكتاب في سائر بلاد الأندلس، وقد تثبت ابن خير من أن ثمانية عشر رجلا منهم أخذوا عنه الكتاب كاملا وهم[14]:

1- أبو بكر محمد بن حسن الزبيدي.

2- أبو العاصي حكم بن منذر بن سعيد القاضي.

3- أبو القاسم أحمد بن أبان بن سيد.

4- أبو عثمان سعيد بن عثمان بن القزاز.

5- أبو العلي الحسن بن أيوب الفقيه الحداد.

6- أبو نصر هارون بن موسى بن صالح بن جندل.

7- أبو بكر محمد بن مروان بن زهر الإيادي.

8- أبو بكر عباس بن أصبح الحجازي.

9- أبو عمر أحمد بن عبد العزيز بن أبي الحباب.

10- أبو عمر أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد الجسور.

11- أبو القاسم أحمد بن محمد بن معارك العقيلي.

12- أبو عمر أحمد بن سعيد بن إبراهيم (المعروف بابن الهندي).

13- أبو عبد الله حبيب بن أحمد الشطجيري.

14- أبو سعيد أحمد بن محمد بن سليمان الأصبحي.

15- إبراهيم بن عبد الرحمن التنيس.

16- القاضي أبو محمد بن عبد الله بن ربيع بن بنوش التميمي.

17- القاضي أبو القاسم خلف بن غمرون.

18- القاضي أبو أيوب سليمان بن خلف بن غمرون.

وتستمر العناية بالكتاب وروايته بعد هذه الطبقة (من تلاميذ القالي) في البيئة الأندلسية زمنا طويلا على يد عدد كبير من العلماء يصعب إحصاؤهم ومنهم:

1- أبو عبد الله محمد بن بهلول الكفيف[15].

obeikandi.com

2- مسعود بن علي بن مسعود الأديب الأنصاري الأندلسي[16].

3- أبو مروان حزب الله بن محمد بن علي بن عبد الرحمن الأزدي[17].

4- أبو جعفر أحمد بن علي بن محمد الأنصاري الأوسي[18].

5- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يربوع الجياني[19].

6- أبو العباس بن أبي عزف[20].

7- أبو الحسن سهل بن الحجاج أبي عبد الله محمد بن سهل الأزدي الغرناطي[21].

8- أبو الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني الأشبيلي[22].

شروح الأمالي وحواشيه:

ولعل قيمة كتاب الأمالي وأهميته (خاصة بالنسبة للأندلسيين) لا تقف مظاهرها عند حدود حرصهم على تدارسه وعنايته بصحة روايته وضبطها، وإنما تظهر كذلك في عقوفهم عليه عقوفا أنتج لنا قائمة طويلة من الشروح والحواشي والطرر يأتي في مقدمتها:

1- التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه[23].

2- اللآلي شرح أمالي القالي (وهذان الكتابان لأبي عبيد البكري ت487هـ أو 496هـ).

3- نظام القرطين وضم أشعار السقطين لأبي عباس أحمد بن عبد الجليل الدميري (ت555هـ) جمع فيه أشعار الكامل للمبرد والنوادر لأبي علي البغدادي كما قال ابن الآبار[24].

4- شرح الأمالي لأبي إسحق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم المعروف بالأعلى البطليوسي (ت637هـ) ذكره لأبي الآبار[25].

5- مختصر الأمالي لأبي العباس أحمد بن عبد المنعم الشريشي (ت619هـ) وقد ذكره المقري وابن الآبار والرعيني[26].

6- المؤاخي النادر في الجمع بين اللآلي والنوادر لأبي عبد الله الرعيني، ذكره العيني[27].

7- نكت الأمالي لأثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف الغرناطي النحوي (ت745هـ) ذكره ابن شاكر الكتبي في ترجمته لأبي حيان[28].

بناء على هذا يتضح بجلاء مدى الأهمية التي تحيط كتاب الأمالي لأبي علي القالي ونشرع فيما يأتي في قراءة نموذج من هذا الكتاب.

نموذج من أمالي القالي

وحدّثنا أبو بكر قال حدّثنا أبو حاتم وعبد الرحمن عن الأصمعي قال: قدم متمم بن نويرة العراق فأقبل لا يرى قبراً إلا بكى عليه، فقيل له، يموت أخوك بالملا وتبكي أنت على قبر بالعراق! فقال:

لقد لامني عند القبور على البكا ... أمن أجل قبرٍ بالملا أنت نائح
رفيقي لتذراف الدموع السوافك ... على كل قبرٍ أو على كل هالك

ويروي هذا البيت:

فقال أتبكي كل قبر رأيته ... فقلت له إن الشجا يبعث الشجا
ألم تره فينا يقسم ما له ... لقبرٍ ثوى بين اللوى والد كادك
فدعني فهذا كله قبر مالك ... وتأوي إليه مرملات الضرائك

وقرأت على أبي بكر رحمه الله لبعض طيئ يرثي الربيع وعمارة ابني زياد العبسيين، وكانت بينهم مودة:

فإن تكن الحوادث جربتني ... من السمر المثقفة الصعاد
تهال الأرض إن يطأ عليها ... فلم أر هالكاً كابني زياد
هما رمحان خطيان كانا ... بمثلهما تسالم أو تعادى

ومما قرأت عليه لفاطمة بنت الأحجم بن دندنة الخزاعية:

قد كنت لي جبلاً ألوذ بظله ... فتركتني أضحى بأجرد ضاحي
قد كنت ذات حمية ما عشت لي ... أمشي البراز وكنت أنت جناحي
فاليوم أخضع للذليل وأتقي ... منه وأدفع ظالمي بالراح
وإذا دعت قمرية شجناً لها ... يوماً على فننٍ دعوت صباح
وأغض من بصري وأعلم أنه ... قد بان حد فوارسي ورماحي

فقال لي أبو بكر رحمه الله: هذه الأبيات تمثلت بها عائشة - رضي الله عنها - بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم. وقرأت على أبي عبد الله نفطويه هذه الأبيات في قصيدة للنابغة الجعدي وقت

قراءتي عليه شعر النابغة:

ألم تعلمي أني رزئت محاربا ... فمالك منه اليوم شيءٌ ولا ليا
ومن قبله ما قد رزئت بوحوحٍ ... وكان ابن أمي والخليل المصافيا
فتىً كملت خيراته غير أنه جوادٌ ... فما يبقي من الليل من المال باقيا
فتىً تم فيه ما يسر صديقه ... على أن فيه ما يسوء الأعاديا

وأنشدني أبو محمد بن درستويه النحوي قال أنشدنا أبو العباس محمد بن يزيد المبرد:

أيا عمرو لم أصبر ولي فيك حيلةٌ ... ولكن دعاني اليأس منك إلى الصبر
تصبرت مغلوباً وإني لموجعٌ ... كما صبر الظمآن في البلد القفر

وحدثنا أبو بكر بن الأنباري قال حدّثني أبي قال حدّثنا أبو عبد الله بن المطيحي قال: قرئ على قبر بالمدينة:

يا مفرداً سكن الثرى وبقيت ... الحي يكذب لا صديق لميتٍ
لو كنت أصدق إذ بليت بليت ... لو صحّ ذاك ومت كنت أموت

وقرأت على أبي بكر لكعب بن زهير:

لقد ولى أليته جويٌّ ... معاشر غير مطلولٍ أخوها
فغن تهلك جويّ فإن حرباً ... كظنك كان بعدك موقدها
ولو بلغ القتيل فعال قومٍ ... لسرك من سيوفك منتضوها
كأنك كنت تعلم يوم بزت ... ثيابك ما سيلقى سالبوها

قال أبو علي وقرأت عليه للأحوص:

إنـي علـى مـا قـد علمـت محسـد أنمـي علـى البغضـاء والشـنآن

مـا تعتريـني مـن خطـوب ملمـة إلا تشـرفني وتعظـم شـاني

فـإذا تـزول تـزول عـن مـتخمطٍ تخشـى بـوادره لـدي الأقـران

إنـي إذا خفـي الرجـال وجـدتني كالشـمس لا تخفـى بكـل مكـان

obeikandl.com

هوامش القالي

1- راجع: ترجمة القالي، الزبيدي، طبقات اللغويين والنحويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف 1984م، ص121، 185، 188. ابن الفرضي: تاريخ العلم والعلماء والرواة للعلم بالأندلس، تحقيق عزت العطار الحسيني، القاهرة، 1954م، 83/1. الحميدي: جزوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر، تحقيق محمد بن تاويت الطبخي، القاهرة 1953م، ص154. ابن خير الأشبيلي: فهرسة ما رواه عن شيوخه، ط2، القاهرة – بيروت – بغداد 1963م، ص395. الضبي: بغية الملتمس في تاريخ بلاد أهل الأندلس، دار الكتاب العربي، 1967م، ص256. ياقوت الحموي: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء) نشر مرجليوث، ط القاهرة 1983م، 25/7. ومعجم البلدان، ط دار صادر بيروت، 1995م، (قاليقلا). والقفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1 دار الكتب المصرية 1952م، 204/1. ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، 1972م، 226/1. الحافظ الذهبي: العبر في أخبار من عبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، الكويت 1960م،

304/2. اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ط1، حيدر أبادي، 1338هـ: ج2، ص395. والفيروزابادي: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تحقيق محمد المصري، الكويت 1987م، ص69. السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط عيسى البابي الحلبي، القاهرة 1965م، 453/1. والمقري نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، ط دار صادر، بيروت 1987م، 70/4، 74. وابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت (د.ت)، 18/3. وعمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، دمشق 1957م، 286/2. وكارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، ط5، دار المعارف 1983م، 277/2، 280.

2- راجع محمد مصطفى أبو شوارب أبو اليزيد: رواية الشعر وتفسيره – قراءة في منهجية التراث العربي، الملتقى المصري للإبداع والتنمية، 1419هـ - 1999م ص13.

3- راجع ياقوت الحموي: معجم البلدان (منا زجرد) أحمد كمال زكي: أمالي القالي تراث الإنسانية، م5 ج1 ص47.

4- راجع ياقوت الحموي معجم البلدان: (قاليقلا) وهي تقع في الشمال الغربي من نواحي منازجرد وهذه المدينة هي التي انتسب إليها أبو علي.

5- السابق: (الموصل) وسليمان صائغ: تاريخ الموصل، الطبعة السلفية، مصر 1923م، ص51، 52.

6- راجع في ترجمته الحافظ الذهبي، العبر في أخبار من عبر، 134/2. واليافعي: مرآة الجنان 249/2 وابن العماد: شذرات الذهب: 250/2.

7- راجع ياقوت الحموي: معجم الأدباء، 28/7.

8- راجع المقري: نفح الطيب 74/4. الحميدي: جذوة المقتبس ص155.

9- ألبير حبيب مطلق: الحركة اللغوية في الأندلس، بيروت 1967م، ص203.

10- راجع المقري: نفح الطيب، 75/42.

11- د.محمد مصطفى أبو شوارب: رواية الشعر وتفسيره قراءة في منهجية التراث العربي، ص16وما بعدها.

12- ابن خير: فهرسته، ص325.

13- د.محمد مصطفى أبو شوارب: رواية الشعر وتفسيره قراءة في منهجية التراث العربي، ص19، 20.

14- ابن خير: فهرسته، ص342، 325.

15- توفي سنة 460هـ انظر في قيامه على تدريس النوادر والأمالي، ابن الأدبار، التكملة 393/1.

obeikandl.com

16- من وفيات القرن السادس الهجري. انظر في أخذ النوادر (الأمالي) عنه، ابن الآبار التكملة: 717/2.

17- توفي سنة 585هـ انظر في وقوفه على النوادر (الأمالي) ابن الآبار التكملة، 282/1.

18- توفي حوالي سنة 606هـ. انظر في مذكراته للأمالي، ابن الآبار، التكملة:99/1.

19- توفي سنة 610هـ. انظر في سماع النوادر (الأمالي) عليه ابن الآبار، التكملة، 592/2.

20- توفي سنة 638هـ. انظر في قراءته النوادر (الأمالي) علي شيخيه أبي محمد بن عبيد الله الحجري، وأبي القاسم عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن الجذامي – الرعيني، برنامج شيوخ الرعيني، تحقيق إبراهيم شبوح، دمشق، 1962م، ص44، 45.

21- توفي سنة 639هـ. انظر في قراءته النوادر (الأمالي) على شيخه أبي عبد الله بن حميد، الرعيني، برنامج شيوخه، ص60.

22- توفي سنة 666هـ. انظر في قراءته النوادر (الأمالي) على شيخه أبي بكر بن محمد بن طلحة بن محمد بن حزم الأموي، المصدر السابق ص79.

23- الكتابان مطبوعان، صدر أولهما ملحقا بطبعة دار الكتب المصرية من كتاب الأمالي، وصدر الثاني بتحقيق عبد العزيز

الميمني الراجكوتي عام 1936م، عن دار الكتب المصرية.

24- انظر: ابن الآبار، التكملة 56/1.

25- انظر: السابق 170/1.

26- انظر المغزى، نفح الطيب: 316/2. وابن الآبار: التكملة، 111/1. الرعيني: معجم شيوخه: ص90.

27- انظر العيني: المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية، ط بولاق على هامش خزانة الأدب: 1/ 26.

28- انظر ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر 1951م، ج2 ص501.

obeikandl.com